Coptology

تدمير الهوية

بالخلط بين العهدين، القديم والجديد

دكتور

جورج حبيب بباوي

نوفمبر ٢٠١٣

www.coptology.org

تدمير الهوية التي تُعطى في أسرار الانضمام إلى الكنيسة

في أسرار الانضمام ننال: التبني – شركة الملكوت – تغيُّر الخليقة، أو الخلقة الجديدة حسب صلوات سر المعمودية، وننال سر مسحة الحياة الأبدية في مسحة الميرون، وفي الإفخارستيا ننال ليس غفران الخطايا وحده، بل نصبح حقاً وفعلاً جسد المسيح، لكن حرباً نفسيةً وفكريةً تدور رحاها، وتمتد إلى أهم ما يكوِّن الهوية القبطية:

١– العقيدة.

٢– ممارسة الطقوس الكنسية.

ذلك أن لدينا ردةً واضحةً تتمثل في العودة إلى أحكام الشريعة القديمة. ليس كلها، بل "استخلاص" ما يناسب هذه الردة، بوضع عوائق وموانع أمام من يمارس الطقوس باسم ما ورد في اللاويين والتثنية من أحكام خاصة بطهارة الجسد. ويجب هنا عدم الخلط بين نظافة الجسد وطهارة الجسد. النظافة موضوعٌ يخضع لما نعرفه من قواعد الصحة العامة، وهذه تخضع لما يعرفه الأطباء وعلماء وظائف الأعضاء، أما طهارة الجسد فهي موضوع آخر يختلف اختلافاً بيِّناً عن النظافة.

من الواضح أن سفر اللاويين اعتبر طمث المرأة، وولادة الأطفال نجاسةً بالمعنى السائد في طقوس العهد القديم، وهو –بشكلٍ محدد– خروج الدم من جسد الأم في حالة الولادة بالذات. والتمييز بين ولادة الطفل الذكر، والطفل الأنثى هو تمييز طقسي لا علاقة له بالخطية أو سقوط آدم، بل بالاعتقاد السائد بأن ولادة الأنثى تجعل الأم تنزف لفترة أطول. ولدينا دراسة وافية لأكبر علماء العهد القديم في العصر الحديث[1]، نُشرت تباعاً في ثلاثة مجلدات *The Anchor Bible* شرح فيها الجوانب الحضارية الخاصة بثقافة الشعوب القديمة في شرح سفر اللاويين المجلد الأول من ص ٧٤٢ – ص ٧٦٨.

([1]) Jacob Milgrom, Leviticus 1-16, vol 3

لكن ما يهمنا هنا، ليس الجانب التاريخي أو حتى اللاهوتي؛ لأن العهد القديم برمته لا يعطي شرحاً للعقائد الخاصة بالخلقة الجديدة، فهو يشرح ما يحدث في إطار الخلقة الأولى التي تختلف تماماً عن الخلقة الجديدة؛ لأن الأولى في آدم والثانية في المسيح، الأولى خضعت للموت، والثانية رُفعت عنها الدينونة، ورُفعت عنها اللعنة الأولى، وهي لعنة الموت، وجاء العهد الجديد، عهد تجسد الله –تحديداً– بالآتي:

١– تقديس الجسد بسبب تجسد ابن الله واتحاده بالجسد الإنساني.

٢– سكنى الروح القدس في الكنيسة وفي كل مؤمن؛ لأننا نحن صرنا هيكل الله الحي.

٣– شركة الروح والجسد في موت الرب ودفنه وقيامته.

٤– نوال عطية سكنى الروح القدس بالميرون الإلهي.

هذه العناصر الأربعة لم تكن توجد في ممارسات العهد القديم، بل كان الإنسان يرزح تحت وطأة الشريعة الموسوية، تلك التي أعطاها رسول المسيح ذلك الاسم المميز: "أعمال الناموس"، وهي شريعة التطهير، وتمييز الأطعمة، والاغتسالات، وتقديم الذبائح، وحفظ أوقات معينة للصلاة والأعياد، وحفظ يوم السبت. وهذه أهم محور في رسائل القديس بولس في غلاطية –كولوسي – العبرانيين – رومية.

ما هو المقصود بالناموس أو الشريعة في رسائل القديس بولس؟

وهنا بشكلٍ خاص، يلزمنا أن ننبه ذهن القارئ إلى أن رسول المسيح يقدِّم لنا ثلاثة استعمالات لكلمة الشريعة أو الناموس (الناموس كلمة يونانية الأصل):

١– الشريعة أو الناموس، هي أسفار موسى الخمسة حيث يصف سفر التكوين بأنه الشريعة أو الناموس في (غلا ٤: ٢١).

٢– الشريعة أو الناموس، هي الوصايا العشر، وهي الوصية المقدسة الصالحة والحسنة (رو ٧: ١٤–٢١).

٣– الشريعة أو الناموس، هي التطهيرات والاغتسالات وقوانين الطعام والذبائح .. الخ. وكلام الرسول فيها يبدأ من غلاطية (٢: ١ وما بعده).

ولذلك، الهجوم ليس على الوصايا العشر، بل على الشريعة أو أعمال الناموس؛

لأن التوراة أو الناموس كان يحتِّم الختان في اليوم الثامن؛ لأنه كان علامة العهد مع إبراهيم، ولذلك يقول بولس بصوتٍ عال إن حتى علامة العهد مع إبراهيم قد فقدت قوتها ومعناها: "ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً" (غلا ٥: ٢)، بل لاحظ أيها القارئ العزيز أنه في غلاطية أصحاح ٤: ٢١-٣١ يعيد رسول الرب تفسير التاريخ نفسه، ويجعل اليهود أولاد إبراهيم مثل إسماعيل، ونسل هاجر؛ لأنهم وُلِدوا حسب التناسل البيولوجي، أمَّا مَن وُلِد حسب الموعد، فهو مثل إسحق حتى لو كان من الأمم ولذلك، قارئي العزيز أدعوك أن تقرأ على مهل:

"هاجر وسارة رمزٌ؛ لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر. لأن هاجر جبل سيناء في العربية ولكنه يقابل اورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها" (غلا ٤: ٢٤ – ٢٥). ولكن في الختام يقول رسول الرب إن أولاد إبراهيم حسب الجسد هم أولاد الجارية، وهؤلاء يقول عنهم: "أطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة. إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة" (غلا ٤: ٣٠ – ٣١)؛ لأن الميراث لا يؤخذ بحفظ الشريعة، بل لأن كل الذين نالوا المعمودية (غلا ٣: ٢٨) هم "للمسيح وأنتم نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلا ٣: ٢٩). ومن هنا جاء التصريح الرسولي الخطير جداً الذي ترفضه حركة الردة المعاصرة: "لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسدٌ ما"، بل "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح (غلا ٣: ١٦) لأن الله "يبرر الأمم بالإيمان" (غلا ٣: ٨).

نهاية أعمال الشريعة الموسوية أو أعمال الناموس:

"لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسدٌ ما" (غلا ٣: ١٦) وهذه الأعمال بالتحديد هي:

"لا يحكم عليكم أحدٌ في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور الآتية (الخاصة بالحياة المسيحية) وأمَّا الجسد فللمسيح" (كولوسي ٢: ١٦ – ١٧)، ويُعيد نفس الكلام: "إذاً إن كنتم قد مُتم مع المسيح عن أركان العالم

(ما يشكل الحياة حسب العالم: الثقافة – النظام الحضاري – الديانات)، فلماذا كأنكم عائشون في العالم تُفرض عليكم فرائض لا تمس ولا تذق ولا تجس التي هي جميعاً للفناء .." (كو ٢: ٢٠ – ٢٢)، بل يقول في رسالة إلى العبرانيين:

"الناموس إذ له ظل الخيرات الآتية لا نفس صورة الحقائق" (راجع عب ١٠: ١)، ولذلك فشلت ذبائح العهد القديم كلها في تطهير الإنسان من الخطية؛ لأن "دم ثيران وتيوس لا يمكن أن يرفع خطايا" (عب ١٠: ٤). وماذا عن نظام الذبائح كله؟ "ينزع الأول لكي يثبِّت الثاني" (عب ١٠: ٩)، وقد أعلن المسيح يسوع نفسه وبلسانه أن الآب لا يريد هذه الذبائح، وليس له مسرة بها، وهي تلك التي تقدَّم حسب الناموس (عب ١٠: ٧ – ١٠) ومن هنا جاءت البشارة:

- "صار يسوع ضامناً لعهد أفضل" (عب ٧: ٢٢).
- "عهد أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل" (عب ٨: ٦)
- عهد جديد جعل العهد الأول قديماً أو عتيقاً: "إذ قال جديداً عتَّق الأول (جعله قديماً) وأمَّا ما عَتُقَ وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣).
- "وسيط عهد جديد" (عب ٩: ١٥).
- عهد له قوة القيامة لأن الآب "أقام راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي" (عب ١٣: ٢٠).

وعلى ذلك، فالنتيجة المرعبة التي تترتب على حركة الردة إلى العهد القديم هي:

إنكار قداسة الجسد التي تُوهب في سر المعمودية.

ففي المعمودية يتعرَّى الإنسان من الإنسان العتيق:

"ادعُهم إلى نورك الطاهر .. عَرِّهم من عتيقهم. جَدِّد حياتهم .. لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق .. ليستحقوا حميم الميلاد الجديد واللباس غير الفاسد وغفران الخطايا. إذ تعدهم هيكلاً لروحك القدوس بمسرة أبيك الصالح والروح القدس ..

"ليصيروا حلة نورانية ويلبسوا لباس الخلاص".

لذلك يكون مرعباً حقاً ما يقال عندنا من أن هذه النعمة تزول بمرور الوقت، أو

بسبب وظائف الأعضاء، مهما كانت هذه الوظائف بالنسبة للذكر أو الأنثى.

وبعد سكب الميرون تكرر الصلوات:

"كي لا يصيروا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الملكوت بمسرة ونعمة ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا".

فهل انتهت هذه المسرة وزالت النعمة؟ أوَليست الصلاة تقول:

"فليتصور المسيح في الذين ينالون صبغة الميلاد الجديد"؟

وبعد حلول الروح القدس على الأردن (جردن المعمودية):

"لكي يصبح الماء حميم الميلاد الجديد ماء البنوة".

فهل بعد هذا الذي ذكرناه وما هو معلن في صلوات الكنيسة أم الشهداء نعود إلى تطبيق أعمال الناموس، وإلى ما قبل المسيح؟

"لكي يخلع الذين يعتمدون فيه الانسان العتيق ويلبسوا الانسان الجديد الذي يتجدد مرة أخرى حسب صورة خالقه".

لقد قدَّمنا هنا صلوات الكنيسة أُم الشهداء التي تحاول حركة الردة أن تهدمها من الداخل بالادعاء بأن الجسد **غير طاهر بعد المعمودية**، أو أنه يحتاج إلى "الوضوء" لكي يتقدس، فإذا كان هذا الوضوء للنظافة، فلا ضرر، ولكن فقدان قداسة الجسد الذي يُمسَح ٣٦ مرة بالميرون هو الأمر المدمر.

هل عدنا إلى ٤٠ يوماً و٨٠ يوماً؟

سبق لي أن استعرت —في مقالة سابقة– عبارة "آفة حارتنا النسيان" من كاتبنا الكبير نجيب محفوظ، وها أنا اليوم أُضيف إليها أن "آفة الردة هي الجهل بالتاريخ". وتجهيل شعبنا بالتاريخ يترتب عليه –بكل دقة– إعطاء أكبر مساحة ممكنة:

أولاً: للفتاوى التي لا تمت للإيمان المسيحي بصلة.

ثانياً: إحكام الرقابة –بهذه الفتاوى– على الممارسة؛ لكي يستطيع هؤلاء المفتون أن ينالوا سلطاناً أكبر وسيطرةً أوسع عن طريق ضبط الممارسة.

والفتوى القائلة بأن الخطية هي سبب نجاسة الأم وأن الأنثى خطيتها أكبر ..

الخ هي فتوى تنكر بكل بساطة ما جاء به المسيح، وهي ردة ليست إلى اليهودية، بل إلى ما هو أشنع من اليهودية؛ لأن سفر اللاويين (١٢: ١ – ٨ وما بعده) لا يذكر شيئاً عن الخطية، لا خطية الأم، ولا خطية المولود، بل كان نزيف الدم هو محط الاهتمام؛ لأنه – حسب رأي ثقافة الخلقة الأولى، بل ثقافة العالم القديم كله– هو فقدان قوة الحياة، وهو ما حفظته الشعوب القديمة كلها، وبالتالي لا علاقة للموضوع بالخطية لا من قريب ولا من بعيد.

وبمراجعة وثائق الكنيسة وتحديداً:

أولاً: التقليد الرسولي – هيبوليتوس – المعروف باسم قوانين ابوليدس.

ثانياً: عظات القديس كيرلس الأورشليمي للموعوظين.

ثالثاً: عظات القديس يوحنا ذهبي الفم للموعوظين.

نجد أنه لم يكن هناك تمييزٌ بالمرة بين تعميد الذكور أو الإناث من الأطفال.

فعند هيبوليتوس، الرجال يُعمَّدون قبل النساء بسبب الحشمة؛ لأن الكل ينزل عرياناً إلى الماء، وهي شهادة كل من ترتليان –كيرلس الأورشليمي – ذهبي الفم، وبعد معمودية الرجال ولبس الملابس البيضاء، يُعمد النساء. ولم نجد في أقدم مخطوطات خدمة المعمودية شيئاً عن خطية الطفل الذكر وخطية الطفل الأنثى، وليس هناك أي ذِكر أو إشارة إلى الـ٤٠ يوماً أو إلى الـ٨٠ يوماً، فهذه غير معروفة في الـ ١٠٠٠ سنة الأولى من تاريخ الكنيسة[١].

المشكلة ليست فقط الجهل بالتاريخ الكنسي، ولكن التطرف في معاملة النساء:

مَن منا يجهل أننا نحترم المرأة بسبب التجسد؛ لأن بميلاد الرب "أُعتِقَت حواء من طلقات الموت"؟ وعبارات التسبحة السنوية لا تحتاج إلى اقتباس ولا تحتاج إلى تعليق، ولكن المشكلة هي أن البعض يعتقد أن لديه سلطاناً يفوق سلطان مؤسِّس العهد الجديد

(١) بكل أسف لم يحتوِ كتاب "المجموع الصفوي لابن العسال" –كما نشره جرجس فيلوثاوس عوض– على فصل عن المعمودية.

وخالق الخليقة الجديدة (٢كو ٥: ١٧)، أي سلطان الرب يسوع المسيح رأس الخليقة الجديدة.

وعندما يقول الرسول: إن "الأشياء القديمة قد مضت" (٢كو ٥: ١٧)، فهو يقصد بكل يقين ما سبق وأشرنا إليه عن العهد الأول أو القديم الذي تُقدَّم فيه قرابين وذبائح، وهو عهد الأطعمة والأشربة والاغتسالات المختلفة والفرائض الجسدية الموضوعة إلى وقت الإصلاح" (راجع عب ٩: ١٠).

النجاسة حسب اللاويين والتثنية:

النجاسة حسب سفري اللاويين والتثنية ليست هي خطية المرأة التي تلد، فقد غاب من الوعي أن المسيح جاء إلى الزواج في عرس قانا الجليل، وبارك الزواج كأول علامة على تجديد الخليقة وأول معجزة أظهر فيها مجده (يوحنا ٢: ١١) "هذه بداية الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده"، وللقديس كيرلس السكندري ملاحظة عقائدية هامة؛ إذ يقول عن معجزة قانا الجليل:

> "أشياءٌ فائقةٌ تمت في وقتٍ واحدٍ بواسطة المعجزة (العلامة) الواحدة: الزواج المكرم قد قُدِّس (عب ١٣: ٤)، واللعنةُ التي كانت على المرأة قد رُفِعَت، والأولاد لا يولدون بعد بحسرة الألم؛ لأن المسيح قد بارك بداية حياتنا. ومجد المخلص قد استُعلِن مثل نور الشمس الساطع، والأعظم هو أن التلاميذ قد ثبتوا في الإيمان" (راجع شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس السكندري، الطبعة الجديدة Ancient Christian Texts. Vol I p91, 2013).

ولكن البعض يريدون أن تبقى اللعنة وأن يدوم عهداً زال؛ لأنهم يحبون أن يملأوا الكنيسة بالعبيد، وإذا تعذَّر عليهم أن يفعلوا ذلك مع الرجال، فالنساء هم ضحايانا.

لكن الجدير بالذكر هو أن لمس الدم يُعَدُّ نجاسةً بالمعنى الطقسي القديم؛ لأنه مرتبط بالموت لا بالخطية، وبالرغم من أن "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته"، إلَّا أن أصحاب الفتاوى أعادوه ليظهر في القرن الواحد والعشرين في شكل

فتاوى تقبل نصوص العهد القديم كمؤسِّس وحيد للأسرار، بينما العهد القديم لا يُقرأ أي جزء منه –باستثناء المزامير– في القداسات، عندنا وعند كل الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، لكن تختار الكنيسة بعض فصول من النبوات في الأعياد السيدية، وفي الصوم الكبير بالذات –لإغراضٍ تعليمية– لأنه كان موسم قبول وتعميد الموعوظين. أمَّا عند إقامة القداس الإلهي على مدار السنة، فالعهد القديم لا يُقرأ؛ لأن مجد المسيح يفوق مجد موسى (عب٣: ٣).

كيف غيَّر التجسد الخلقة القديمة

"داود تكلم من أجلها قائلاً الرب اختار صهيون،

وأتى وحلَّ فيها حتى خلَّصنا،

أي مريم التي جلبت لنا الحرية الأبدية".

لأن مريم هي أورشليم ومركبة الشاروبيم، وهي "فرح المؤمنين وعصا هارون"، بل هي صدمة التجسد.

"الساكن في النور الذي لا يُدنى منه ...

أرضعته اللبن" (إبصالية الأحد).

وعندما تصبح مريم هي "قدس الأقداس" نفسه؛ لأنها "سبقت أن دلتنا على اليوتا **I** على اسم الخلاص **IHC** أي الاسم الذي يبدأ بحرف اليوتا، ومن قِبَل رش دمه "طهَّر المؤمنين شعباً مبرراً".

بل المنارة هي مريم لأن منها أشرق النور، الإله الحق، ولأن الذي في بطن العذراء "أضاء لكل إنسان آتٍ إلى العالم"؛ لأنه هو شمس البَرِيَّةِ. وبالرغم من ذلك يجب أن نبقى تحت وصاية أعمال الناموس!!!!

ومجمرة البخور الحقيقية هي مريم لأنها حملت غير المنظور، كلمة الآب "هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولةً على الصليب".

التحول من الرموز إلى حقائق الخلاص ضروري لنا؛ لأن هذا يشكِّل أحد مقومات التسبيح؛لأنه تسبيح الذين تحرروا من أعمال الناموس. وهنا نشير –بشكل

خاص- إلى أن الشيرات التي تُرتَّل في ثيؤطوكية الأحد تحتاج إلى دراسة خاصة، سوف نعود إليها قريباً، ولكن نكتفي الآن بالقول بأنها عبَّرت عن الأساس اللاهوتي للحياة المسيحية، أي العلاقة الجديدة الخاصة بالعهد الجديد.

إن تجسد ابن الله من القديسة مريم هو سبب كل ما يقال عن آدم وجميع الأنبياء، ولذلك هي التي:

"سترت آدم بلباس النعمة ...".

وتعيد إلينا التسبحة صوت أثناسيوس العظيم (ضد الأريوسيين ٢: ٦٧)، فقد تجسد ابن الله؛

"لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس،
ويحل قضية الموت.
إنك يا آدم ترابُ وإلى التراب تعود،
لأن الموضع الذي كثرت فيه الخطية تفاضلت فيه نعمة المسيح" (ثيؤطوكية الاثنين).

فالمسيح رب الحياة:

"حلَّ الحاجز وقتل العداوة بالكمال،
ومزَّق كتاب يد العبودية التي لآدم وحواء وحررهما".

لكن مطران دمياط لا يريد ذلك، وهو ليس وحده على أية حال، مع أننا نرتل في كل صباح وفي ثيؤطوكية الاثنين

"أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر
وكل الخليقة تهللت بمجيئك
خلَّصت آدم من الغواية
وعتقت أمنا حواء من طلقات الموت
أعطيتنا روح البنوة[1] **ⲙⲡⲓⲡⲛⲁ ⲛⲧⲉ ϯⲙⲉⲧϣⲏⲣⲓ**".

---

(1) لا يمكن أن يُصَنَّف روح البنوة على أنه من مواهب الروح القدس؛ لأنه روح الابن (غلا ٤: ٤ - ٦)، ولم يأخذ الابن مواهب، بل مُسِحَ بالروح القدس لكي يمنح بالمسحة وبالروح كل المواهب، أي استعلانات عمل الروح القدس

وعند ذِكر الموت الذي جاء مع السقوط، تقول الثيؤطوكية:

"من قِبَل مريم والدة الإله أَرجَعَ آدم إلى رئاسته دفعةً أخرى".

ثم

"لأن من قِبَلِها (بواسطتها) وجدت النساء دالةً أمام الرب[١]".

لقد تجسَّد

"لكي يحلَّ زلة آدم ويخلِّص مَن هلك ..." (ثيؤطوكية الثلاثاء).

لقد فتح باب الفردوس، بل تصف ثيؤطوكية الأربعاء القديسة مريم بأنها:

"الفردوس العقلي (الناطق) للمسيح الذي صار آدم الثاني من أجل آدم الإنسان الأول".

هذا التحول جعل التجسد ينقُض اللعنة الأولى (ثيؤطوكية الخميس)، تلك التي جاءت على جنسنا من قِبَل المخالفة التي وقعت فيها المرأة لما أكلت من الشجرة.

"من أجل حواء أُغلِقَ باب الفردوس،

ومن قِبَل مريم العذراء فُتِحَ مرةً ثانية".

والتطبيق: هو الأكل من شجرة الحياة، أي جسد الرب ودمه (راجع القطعة ٢ من ثيؤطوكية الخميس).

لقد نقض التجسد "فساد جنسنا" (ثيؤطوكية الخميس القطعة ٣).

ولعل أعظم ما نختم به، وهو ليس كل ما في التسبحة السنوية، هو ما جاء في القطعة ٩ من ثيؤطوكية السبت:

"إفرحي يا رجاء خلاص المسكونة

لأننا من أجلكِ عُتِقنا من لعنة حواء

ومن أجلكِ أيضاً صِرنا مسكناً للروح القدس

الذي حلَّ عليكِ وقدَّسكِ".

ولعل أفضل ما نختم به بحثنا هو رسالة القديس أثناسيوس إلى آمون، حيث

نفسه في الإنسانية.

(١) أي شجاعة وجرأة لأن اللعنة رُفِعَت.

عادت إفرازات الجسد إلى وضعها الطبيعي بعد تجديد الخليقة وانعتاق الإنسانية من الفساد والموت ولعنة الموت.

الرسالة إلى آمون:

نقتبس هنا بعض المقاطع من رسالة أثناسيوس إلى آمون الراهب المصري وأب نتريا *Nitria* والتي كُتبت حوالي ٣٥٤م، فهي تشرح الأرثوذكسية التي نراها بكل وضوح من كتاب تجسُّد الكلمة، والردود على أريوس، والرسائل إلى سرابيون. هكذا يكتب أثناسيوس:

"كل الأشياء التي خلقها الله جميلة ونقية؛ لأن كلمة الله لم يخلق شيئاً عديم النفع أو دنساً. وكما يقول الرسول: "لأننا رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون" (٢ كورنثوس ٢: ١٥).

ولكن؛ لأن حبائل الشيطان مختلفة وماكرة، وهو يتحايل لكي يزعج بسطاء العقول، ويحاول أنْ يمنع الأخوة من الممارسات اليومية عندما يبذر فيهم أفكاراً من عدم الطهارة والدنس، لذلك علينا أنْ نشتِّت أخطاء الشرير بواسطة نعمة المخلِّص، وبهذا نثبِّت فكرَ البسطاء. مكتوبٌ "للأنقياء كل شيء نقي"، ولكن الضمير، بل كل شيء خاص بالنجسين هو غير نقي، بل نجس (تيطس ١: ١٥).

وهذا يجعلني أتعجَّب من حيَل الشيطان لأنه هو الفساد والنجاسة نفسها، ومع ذلك يوحي بأفكارٍ تحت غطاء النقاء لكي تقود إلى فخٍ، وليس إلى تذوُّق النقاء. والهدف من هذا – كما قلت سابقاً – أنْ يعطِّل النُّسَّاك من حياة التأمل والوحدة. ولكن ما يبدو كما لو كان قد طهَّرهم، يحرك بعض الأفكار التي تطن، وهي أفكارٌ بلا فائدة في الحياة اليومية، بل هي أسئلة فارغة وخيالات طائشة على الإنسان أن يطرحها بعيداً.

اخبرني يا صديقي المحبوب والتقي، ما هي الخطية أو الدنس في الإفرازات الطبيعية، كأن يعتبر الإنسانُ مذنباً إذا نظَّفَ أنفه أو تخلَّصَ من

البصاق الذي في فمه؟ ويمكن أن نضيف إلى هذا الإفرازات الناتجة عن الطعام بعد هضم الطعام في البطن، وهي ضرورة تحتمها حياة الكائن الحي.

بالإضافة إلى ذلك إذا كنا نؤمن أنَّ الإنسان –كما تقول الكتب المقدسة– هو من عمل يدي الله، فكيف يمكن أنْ يتكوَّن عملٌ نجسٌ من قوة نقية؟ وإذا كنا –حسب سفر أعمال الرسل المقدس– "ذرية الله" (١٧: ٢٨)، فلا شيء نجساً إذاً فينا؛ لأننا نتدنس إذا أخطئنا، والخطية هي النجاسة الحقة. وعندما تحدث إفرازات من الجسد بدون إرادة، فإن ما نختبره هو جانب ضروري تحتمه الطبيعة.

ولكن لأن البعضَ يجد لذةً في إفساد ما هو مستقيم، أو ما خلقه الله، يحرِّفون القول في الأناجيل مُدَّعين أنه يعني ليس ما يدخل بل ما يخرج (متى ١٥: ١١) هو الذي ينجس الإنسان، أصبح من الحتمي علينا أن نفنِّد بوضوحٍ هذا الفكر المنحرف الذي لا يمكن أن أجعله مجرد سؤال منهم. فقبل كل شيء –لكونهم غير راسخين في الحق– يحرِّفون الكتب، وهو ما يزيد جهلهم (٢ بطرس ٣: ١٦).

أمَّا معنى الأقوال الإلهية، فهو ما يلي: هناك أشخاصٌ مثل الذين يعيشون بيننا اليوم كانت لهم شكوك حول الطعام، ولكي يبدِّدُ الربُ جهلهم، أو لكي يرفع القناع الذي يغطِّي خداعهم، يحدد أنه ليس ما يدخل ينجس الإنسان، بل ما يخرج.

وعلى الفور يحدد لنا من أين يخرج. من القلب؛ لأنه من هناك –كما يعرف الرب– توجد كل كنوز الشر، وأفكار الدنس والخطايا الأخرى، والرسول يعلم نفس التعليم بكل دقة قائلاً: "لأن الطعام لن يقدمنا أمام الله" (١كورنثوس ٨: ٨). وأيضاً يمكن أن نقول –بنفس الإدراك– لا يوجد إفرازٌ حسب الطبيعة سيقودنا إلى الدينونة.

ولكن لكي يخجل هؤلاء ليس منَّا فقط، بل من الأطباء الذين

يؤيدون ما نقوله إزاء هذا الموضوع، نذكر أن الأطباء يخبروننا بأنه توجد قنوات مركبة في الجسد الحي لكي تقوم بإفراز الزائد في كل أجزاء الجسد مثل القنوات الموجودة في الرأس والتي تفرز الدموع، أو عندما ينمو الشعر أو الفضلات التي تطردها البطن، والإفراز الزائد الذي تطرده القنوات المنوية.

فما هي الخطية اخبرني من أجل الله أيها الشيخ المحبوب من الله، إذا كان السيد الذي صنع الجسد هو الذي شاء وخلق القنوات التي تفرز هذه الإفرازات؟

وحيث يجب علينا أن نجيب على الاعتراضات الخاصة بالإفرازات التي يقدِّمها هؤلاء الناس الأشرار، وهم ربما سيقولون: إذا كان الخالق هو الذي ركَّبَ الأعضاء المختلفة، فلا يوجد ذنب في استعمالهم الصحيح. وعلينا أن نوقفهم بسؤالنا هذا السؤال: ماذا تعنون بكلمة استعمال؟ هل هو الاستعمال الصحيح الذي إذِنَ به الله عندما قال: "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض" (تكوين ١: ٢٨) والذي ثبَّته الرسول بقوله: "ليكن الزواج مكرماً والمضجع غير دنس" (عبرانيين ١٣: ٤)، أمْ هو الاستعمال الماجن الذي يتم في الخفاء، وهو الزنا؟ لأننا ليس في هذا الموضوع فقط، بل في كل ما يخص الحياة سنجد أنَّ الاستعمال تحدده الظروف، وعلى سبيل المثال: القتلُ ليس مشروعاً، ولكن في الحرب يصبح مشروعاً، والقضاء على العدو جدير بالمديح، بل إن الذين يحاربون بشجاعة ويتفوقون على الآخرين في ميدان المعركة ينالون كرامةً فائقةً، بل تقام لهم التماثيل لكي تذيع شجاعتهم. وهكذا، العمل الواحد في وقتٍ معين وظروفٍ معينة يكون غير مشروع، وفي وقت آخر مختلف وتحت ظروف معينة يصبح مشروعاً بل وصحيحاً. هذا المبدأ نفسه ينطبق على العلاقات بين الجنسين. مباركٌ الذي –بحرِّيةٍ– يقبل في شبابه نير الزواج، ويلد الأولاد حسب قانون الطبيعة.

أمَّا إذا استخدم الطبيعة الإنسانية في الانحلال، فإنَّ الدينونةَ –التي كتب

عنها الرسول– التي تنتظر القوادين والزناة (عبرانيين ١٣: ٤)، تنتظره أيضاً.

لأنه يوجد طريقان في الحياة بالنسبة لهذه الأمور، الأول: وهو عادي ومعتدل أي الزواج، والثاني ملائكي وفائق أي البتولية. فإذا اختار إنسانٌ طريق العالم، أي الزواج فهو حقاً لم يخطئ، إلَّا أنه لن يأخذ نفس المواهب العظيمة الموجودة في الطريق الثاني" (أعمال أثناسيوس الترجمة الانجليزية ص ٥٥٦ – ٥٥٧).

وعلى الرغم من أننا لا نعرف الكثير عن الخلفية التاريخية أو الموضوع الذي أثار جدلاً حول إفرازات الجسد في نتريا .. إلَّا أنه من الواضح أنَّ الرهبان كانوا مشغولين إلى الحد الذي استدعى أن تكون هناك رسالة من رئيس الأساقفة في الإسكندرية. وعلى ما يبدو، فإن هذه الرسالة تقتبس فكرتين، الأولى: الطريقة المنحرفة التي فهم بها البعض نص الإنجيل "ليس ما يدخل، بل ما يخرج"، والثانية: النظرة إلى استعمال الجسد. لكن الجدير بالملاحظة هو أن أثناسيوس لا يضيِّع الوقت في مناقشة الخصم، بل يضع الأساس العقيدي السليم على هذا النحو:

أ– إنَّ الخليقةَ جميلةٌ ونقيةٌ؛ لأن الكلمة اللوغوس هو خالق كل الأشياء.

ب– إنَّ الخالقَ طاهرٌ، ولذلك لا يمكن أنْ يخلق شيئاً نجساً أو دنساً.

جـ– إنَّ الجسدَ طاهرٌ، والإفرازات هي قانون الطبيعة الخاص بالجسد، وهذا ليس دنساً في حد ذاته.

د– ولعل النقطة الهامة والأساسية عند أثناسيوس هي أنَّ الخطية هي في الاستعمال. فالقتل في الحرب مباح وخارج ساحة الحرب هو جريمة. ولذلك فالعبرة هي بكيف نستخدم الجسد وتحت أي ظروف تنشأ العلاقة.

لقد طعن بعض الذين درسوا رسالة أثناسيوس إلى آمون في صحة الرسالة؛ لأنها على حد قولهم مزوَّرة، ولكن لا يوجد لدينا أي دليل على عدم صحة نسبة الرسالة إلى أثناسيوس، ولا يكشف نص الرسالة نفسه عن كاتب آخر غير أثناسيوس. إنَّ مؤلف الرسالة إلى الوثنيين، وتجسُّد الكلمة لا يمكن أنْ يكتب شيئاً مختلفاً عن الرسالة إلى آمون، فالعقيدة المسيحية كما شرحها أثناسيوس لا تعرف إلَّا فساد الخطية، وهو الفساد الذي

جرَّةُ الموت (تجسُّد الكلمة ٦: ٤ – ٣: ٤)، ولكن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو الذي جعل عدم الفساد من نصيب الإنسان (تجسُّد الكلمة ٩: ٢)، واتحاد الابن بالجسد "قدَّس الجسد" (تجسد الكلمة ١٧: ٥). وما دام الجسد قد اشترك في ذات الطبيعة التي للجميع؛ لأنه كان جسداً بشرياً، وإن كان قد أُخذ من عذراء فقط بمعجزة فريدة، فكان لابد أن يموت أيضاً كسائر البشر نظرائه لأنه جسدٌ قابلٌ للموت. ولكنه بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعاً للفساد بمقتضى طبيعته، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه (تجسد الكلمة ٢٠: ٤). وليس هذا قاصراً على المسيح وحده لأن أثناسيوس يقول: "القضاء على الموت والفساد كلية بفضل اتحاد الكلمة بالجسد" (تجسُّد الكلمة ٢٠: ٥)، فالمسيح أمات الموت، لذلك لم يضع جسده ليموت بالموت الذي يخصه لأنه هو الحياة ولم يكن فيه موت، بل قبل الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيده نهائياً عندما يلتقي به في جسده (تجسُّد الكلمة ٢٢: ٣). لقد كان التجسُّد حقاً إنقاذاً للطبيعة الإنسانية. لو كان الموت خارج الجسد لكان من اللائق أنْ تتصل به الحياة من الخارج، أَمَا وقد صار الموت ممتزجاً بالجسد وسائداً عليه كما لو كان منه، فكان من المطلوب أن تمتزج الحياة بالجسد أيضاً حتى إذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت نَزَعَ عنه الفساد (تجسُّد الكلمة ٤٤: ٥). ولذلك، فبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح لا يوجد فساد في الجسد. ليس للموت سلطان على الحياة. لو كان الموت قد أُبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمرٍ منه، لَبَقى رغم ذلك –قابلاً للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد– ولكن لكي لا يكون هذا حال الجسد، فقد لَبِسَ الجسدَ كلمةُ الله الخالي من الجسد. الفساد قد أُبيد فيه (تجسُّد الكلمة ٤٤: ٦ و ٨).